

ذكرى من فارقونا لتحيا أمتنا تحت شريعة ربنا

جولات في

تاريخ الحركة الإسلامية

أبو مصعب السوري

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:

تفريغ المحاضرة الصوتية:

جولات في تاريخ الحركة الإسلامية

للأستاذ:

أبي مصعب السوري

—فك الله أسره—

تم نشر هذا التفريغ في:

محرم ١٤٣٦ — نوفمبر ٢٠١٤م

تفريغ محاضرة
جولات في تاريخ الحركة الإسلامية
للشيخ أبي مصعب السوري فكّ الله أسره

سياسة التفريغ:–

يسر مؤسسة التحايا للإعلام، أن تقدم لكم، تفريغ محاضرة (**نظرات في تاريخ الحركة الإسلامية**)، للشيخ أبي مصعب السوري – فك الله أسره – وقد استمرت المحاضرة تقريبًا ساعة وعشرين دقيقة، نشرتها مؤسسة الغرباء كشريط، بثته في الشبكة العنكبوتية على شكل ملفين الأول ٤٣ دقيقة والثاني ٣٧د.

سياسية التفريغ:

انتهجنا في هذا التفريغ، سياسة التصرف في الكلام؛ دون الإخلال بالمعنى، وذلك بغرض، جعل الكلام بأسلوب الكتابة ما أمكن دون تكلف، وذلك عبر:

١. تغيير الكلمات العامية، لكلمات عربية فصحى.
٢. تغير صياغة الجمل، للتوافق مع القواعد النحوية.
٣. تغيير صياغة الجمل، لتكون بلغة الكتابة ما أمكن؛ وكأن الشيخ هو الذي كتب الكتاب.
٤. حذف الكلام المكرر، وهذا يكثر في المحاضرات؛ وكذلك حذف الكلام غير الواضح.
٥. لا نعطي لأنفسنا الحق بزيادة معنى لم يقله الشيخ، أو أن نحذف معنى قاله الشيخ؛ ولو كان يخالف ما نقول به.
٦. كثيراً ما نلتزم بإضافة الزيادات باللون الرصاصي، وكذلك وضع علامة (...)للدلالة على الكلمات والجُمَل المحذوفة لكونها غير مسموعة أو لغير ذلك من الأسباب.
٧. أضفنا عناوين جانبية، وفهرس في آخر الكتاب؛ لتسهيل تصفح الكتاب. كما قمنا بتخريج الآيات والأحاديث والمنقولات وتعريف ببعض الشخصيات.

إخوانكم في مؤسسة التحايا للإعلام

مقدمة مركز الغرباء

بسم الله الرحمن الرحيم؛ يسر مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام أن يقدم لكم هذه المحاضرة للشيخ أبي مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، وهي بعنوان: (جولات في تاريخ الحركة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها)، وقد ألقيت في مركز النور في بيشاور سنة ١٩٩٠م.

مقدمة المحاضرة:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد:

السلام عليكم

كان طبعًا طلب مني الأخ أبو حذيفة قبل قليل أن المواضيع التي نتعرض لها وإن كانت سياسية شرعية ولكن يغلب عليها الاجتهاد والرأي، فإذا وُجِدَ أحد من الإخوة ولديه تصويب أو تعليق عن شيء شرعي وله فيه دليل فأرجو أن يصوبنا، وفي نفس الوقت أطلب من الأخ أبي حذيفة أن يعقب على أي مسألة يرى أن فيها شيء؛ فالمواضيع يغلب عليها الحوار فليست قضايا لا يخاض فيها وإنما أراء، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا.

***

قبل أن أبدأ هذه المحاضرة أريد أن أقول أنني تلقيت عددًا من النصائح والرجاءات أكثر من مرة ومن جهات مختلفة بأن لا أخوص في هذه المواضيع، وأقول أن بعض هذه الجهات أعتقد والله أعلم أنها مخلصة وتريد الخير للإسلام والمسلمين، وبعض الجهات أرى أنها غير مخلصة ولا تريد أن يفتح موضوع جاد ويطرح على أناس من الممكن أن تتحول آراؤهم إلى عمل، فلو كان هذا الكلام طُرح على ناس عاديين فليست هناك خطورة؛ ولكن أن يطرح

على ناس تدربت وتعودت إطلاق النار وتعودت التدريب؛ لتفهم ويصبح استعدادهم للعمل كبير؛ فهنا الخطورة.

فهناك كثير من الجهات المخلصة تقول دعونا نَعْدِل عن هذه المواضيع، وحجتهم —جزاهم الله خيرًا— أن الناس الذين جاؤوا إلى هنا عمومًا فهمهم السياسي محدود، وبالمختصر عقولهم أصغر من أن تتعلم هذه الأمور؛ فلو أعطيناهم هذه المواضيع دفعة واحدة بصورة غير متدرجة فقد يؤدي هذا إلى محن، إذا انتقدنا حركة من الحركات الإسلامية أو تعرضنا لعَالِم من العلماء يقولون لنا: "هذا الكلام حق ولكن نخاطب الناس على قدر عقولهم، فإذا أعطينا هذا الكلام لأناس عقولهم أقل من هذا الكلام فيمكن أن يصدر منهم ممارسات غير طبيعية ونكون قد أضررنا بهم بدلًا أن ننفعهم"، وأنا أرى أن هؤلاء الناس مخلصون في طرحهم هذا ولكن أرفض هذا المنطق.

الجهات الأخرى تريدنا أن نبقى على ما نحن عليه (..)، والحقيقة هؤلاء الناس هناك ردود عليهم من مذهب السلف، ومن دَرَس وتعلم خاصةً في علم الرجال يلاحظ هذا، كان معروف جدًّا بين التابعين وبين العلماء أن يتكلم في الرجال فيقال: هذا متروك، وهذا جيد وهذا وضّاع، فالسلف كانوا يتقبلون هذه القضية ولم يكن أحد يستنكر هذا ويقول " لا الناس عمومًا على خير"، فهذا المنهج من منهج السلف؛ فنحن وضعنا القضية مقرونةً بالدليل الشرعي؛ فلا أحد من حقه أن يطبق علينا ما أسميه قانون (العيب)، أنه من العيب أن يتكلم أحد بهذا الكلام، وأنا لا أرى أي بأس طالما أن القضية فيها دليل شرعي.

والحقيقة أنني وقفت على كلمات لسيد قطب –رحمة الله عليه– فأحببت أن أقدم للمحاضرة بهذا الكلام الذي يحوي هذا المعنى الذي قلته الآن، والكلمات مقتطفة من كتاب (طريق الدعوة في ظلال القرآن)[1]، وفي أحد الفصول التي وردت في المذكرة السورية بعنوان: (الإيضاح والبيان في واجب الدعاة والعلماء) يقول سيد قطب –رحمه الله:–

[1] كتاب (طريق الدعوة في ظلال القرآن) لأحمد فائز.

"هناك حقائق عن طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز للدُعاة الاجتهاد فيها، وهى أن عليهم أن يَجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين وألا يُخُفوا منها شيئًا وألا يؤجلوا منها شيئًا، وفى مقدمة هذه الحقائق: أنه لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله، ومن ثَم فلا دينونة ولا طاعة ولا خضوع ولا اتباع إلا لله.. فهذه هي الحقيقة الأساسية يجب أن تُعلن أيًّا كانت المعارضة والتحدي، وأيًّا كان الإعراض من المكذبين والتولي، وأيًّا كانت وعورة الطريق وأخطاؤها كذلك... وليس من الحكمة والموعظة الحسنة إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجيله؛ لأن الطواغيت في الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه أو يعرضون بسببه عن هذا الدين أو يكيدون له وللدعاة إليه، فهذا كله لا يجوز أن يجعل الدعاة إلى هذا الدين يكتمون شيئًا من حقائقه الأساسية أو يؤجلونه.. ولا أن يبدؤوا مثلًا من الشعائر والأخلاق والسلوك والتهذيب الروحي مُتجنبين غضب الطواغيت في الأرض لو بدؤوا من إعلان وحدانية الله والربوبية، ومن ثَم توحيد الدينونة والطاعة والخضوع والإتباع لله وحده.

إن هذا لهو المنهج الحركي بهذه العقيدة كما أرداه الله سبحانه، ومنهج الدعوة إلى الله كما سار بها سيدنا محمد ﷺ بتوجيه من ربه.. فليس لداع إلى الله أن يتنكب هذا الطريق وليس أن ينهج غير ذلك النهج، والله بعد ذلك متكفل بدينه وهو حسب الدعاة إلى هذا الدين وكافيهم شر الطواغيت.." ا.هـ[٢]

ثم يكمل ويقول: "...وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم، ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل، وبين ما يدعوهم إليه من الحق، وعن الفاصل بين حقه وباطلهم، حين يفعل صاحب الدعوة هذا، مراعاة للظروف والملابسات، وحذرًا من مواجهة الناس بواقعهم الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم، فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم؛ لأنه لم يعرفهم حقيقة المطلوب منهم كله، وذلك فوق أنه يكون لم يبلغ ما كلفه الله تبليغه، إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية، لا في

[٢] انظر المرجع السابق.

الحقيقة التي يبلغهم إياها، إن الحقيقة يجب أن تبلغ كاملة، أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة" ا.هـ [3]

ونقول زيادةً في التفصيل والإضافة الرجل يقول في الأسلوب تَلَطَّف في الدعوة كما تجيد ولكن في الصدع بالحقيقة نفسها لا يجوز أن تخفي حقيقة حتى تدعو بعض الناس؛ وأعطيكم هذا المثال من سيرة النبي ﷺ وكان قد ذكره منير الغضبان في كتاب (التحالف الوطني في الإسلام) الذي حاول أن يخفي فيه كثيرًا من الحقائق ليجيز التحالف السياسي ولكن حتى منير الغضبان هناك بعض الحقائق لم يستطع أن يتبرأ منها، فقال هناك حقائق لا يستطيع صاحب الدعوة أن يلعب بها مجاملة لأهل الباطل فضرب هذا المثال؛ فقال: لما توفي أبا طالب جاء أبو لهب إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– عصبية وحمية وقال له: أنا أنصرك على ما كان ينصرك عليه أبا طالب، فالرسول –عليه الصلاة والسلام– وافق لأنه مات له حليف فجاءه الآن حليف، فجاء صناديد قريش وكانوا فعلًا يفهمون في السياسة وقالوا لأبي لهب: "اذهب لابن أخيك واسأله أين أبو طالب الآن؟"، أي بعد كل هذا التعب والمصائب التي تحملها في نصرتك أين هو الآن؟ فذهب أبو لهب وسأل الرسول –عليه الصلاة والسلام–: أين أبو طالب؟ فالرسول –عليه الصلاة والسلام– لم يؤجل المسألة أو يقول له كما قال موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾[4]، ولم يقل له الله أعلم أو كذا بل قال له: "هو في النار"، وهذا الكلام كان في أشد مراحل الشدة وأقصى درجات الاستضعاف في عام الحزن، فأبو لهب لم يتحمل، كيف رجل دخل معك في الشعب وتحمل في نصرتك كل هذا وتقول هو في النار، فقال للنبي –عليه الصلاة والسلام–: "والله لا أنصرك أبدًا"، وانتصرت قريش في هذه المعركة السياسية لأن القضية عقدية؛ رجل مات ولم يسلم فهو في النار.

---

[3] انظر المرجع السابق.

[4] سورة طه: (٥٢).

ومن هذا المنطلق أقول الحمد لله أن المنهج الذي انتهجناه كتابةً ومحاضرة أننا نتلطف في الأسلوب ونتلطف بالناس ونأخذ بأيديهم إلى الهدى، ولكن الحقائق الجوهرية ليست ملكي ولا أستطيع أن أجزأها وأخفي منها شيئًا، فعندما نأتي لموضوع المحاضرة وهو (جولات في ماضي وحاضر مستقبل العمل الإسلامي)؛ فإذا قلت أننا نحن بألف خير ونحن في حالة جيدة فنكون وكأننا نطعن في رب العالمين، فإن كنا جيدين وعملنا صحيح وبألف خير فلماذا هزمنا؟

فنحن ننهزم لأن هناك شيء خاطئ، وهناك منهج خاطئ سرنا عليه في الخمسين سنة الماضية بصور مختلفة أوصلتنا إلى هذا الفشل، والله –سبحانه وتعالى– أمرنا أن نعتبر من سير الكافرين ومن سير المؤمنين ومن سيرنا نحن أنفسنا، فلماذا لا نتأمل في تجاربنا ونَزِنَها بالدليل الشرعي وبالمنطق حتى نصل إلى نتيجة، فنستفيد من تجاربنا ومن تجارب إخواننا؛ فما وجدنا فيها من صواب نُقِرُّه ونستفيد منه، وما وجدنا فيها من خطأ فنقول هذا خطأ؛ وكل يأخذ من كلامه ويرد.

فمنطق أن لا يعيب أحد على أحد ولا يتكلم أحد في أحد؛ هذا المنطق يجب أن يحترم إلا في قضايا البدع. الشعارات التي تسير عليها كل الحركات الإسلامية ابتداءً من حسن البنا —رحمه الله– شعارات خاطئة؛ حسن البنا أخطأ وأصاب وكان مما أخطأ فيه قوله: "نعمل في اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"، وهذا الكلام يمكن أن تفهمه بطريقة صحيحة بأن تقول مثلًا: نحن في هذه الساحة نتعاون فيما اتفقنا عليه في الجهاد مع الأفغان، ويعذر بعضنا بعضًا في ما اختلفنا فيه من القضايا والآراء التي هي لكل واحد منا.

ولكن إطلاق قاعدة عامة هكذا بدون أن تُضبط يفتح الباب بأن يقول أحدهم :نعذر بعضنا بعضًا حتى في البدعة وحتى في الانحراف، فلا أحد يجادل أحد ولا أحد يتكلم في أحد، فإذا قلنا مثلًا أن الحركة الإسلامية الفلانية دخلت في الديمقراطية وأصبح عندها وزراء وبرلمانيون فيقال لك: يا أخي نتعاون فيما اتفقنا فيه بأن نقيم دولة الإسلام، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه!.

فهذا الشعار خاطئ لأن فيه كلام مطلق، أي الصيغة المستخدمة في الشعار صيغة عموم، وكان الواجب أن يقول نعذر بعضنا بعضًا في الخلاف الذي يسميه العلماء خلاف التنوع، أما خلاف التضاد فلا نعذر فيه.

ومن هذا المنطلق جئنا لنتناصح، (...) فنرجو منه —جزاه الله خيرًا– أن يتحملنا ويحاول أن يتفاهم معنا قدر الإمكان، وفي هذا الأسلوب كتبنا عدد من المقالات؛ والإخوة الذي أنتجوا المذكرة السورية اتخذوا هذا المنهج، ونحن من منهجنا إتباع الدليل والحق والحجة وأن نقول أن الخطأ خطأ وعن الصواب صواب، وبعد ذلك نحاول أن نستميل الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن الذي لا يريد أن يرضى فلا يرضى لأننا لن نجامل في هذه القضايا.

فالآن أنتقل إلى الموضوع، والحقيقة ليس عندي محاضرة مكتوبة وإنما كتبت عناوين المحاضرة وسأحاول أن أعرض نبضات سريعة حتى أصل إلى لبِّ الموضوع (...) الذي هو موضوع "المنهج" كما سيتضح بعد قليل.

تاريخ الحركة الإسلامية:-

الآن سنقوم باستعراض العمل الإسلامي كيف بدأ أو كما يسمونه الحركة الإسلامية أو النهضة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية؛ بدأت بسقوط الخلافة ثم انتقلت عدة نقلات إلى أن وصلنا إلى هذا الواقع؛ وأصبح هناك تقسيم واضح نتيجة حرب الخليج التي كشفت موقفنا تمامًا؛ أي كشفت فكرنا ومنهجنا وحجمنا وعلماءنا وحكامنا، فأصبحت نقطة تاريخية نقف عندها، وسنتكلم الآن عن الحركة الإسلامية ماضيها وحاضرها ونترك مستقبلها لمحاضرة أخرى.

نقول سقطت الخلاقة عام ١٩٢٤م بعد أن اضمحلت وأصبح تقريبًا خلافة رمزية مجرد هيكل سياسي؛ ومع ذلك أبوا إلا أن يسقطوا هذا الهيكل السياسي فأسقطوه عام ١٩٢٤م، بعد ذلك قُسِّم العالم الإسلامي إلى دول ودويلات تقاسمتها أوروبا الغربية وعلى رأسها إنجلترا؛ التي معظم أضرارنا منها، ولا توجد أمة نكبتنا مثل إنجلترا لا أمريكا ولا غيرها، فالإنجليز هم

الذين نكبوا العالم الإسلامي، وكل من نكبنا بعد ذلك سار على دربهم، فتقاسم العالم الإسلامي إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وبعض الدول ثم انحسر نفوذ الإمبراطوريات الأوربية وورثتها أمريكا وروسيا ومن دخل في حلف هذه الدول.

ركائز الاستعمار الحديث:-

اعتمد الاستعمار الحديث في سيطرته على العالم الإسلامي على مجموعة من الركائز؛ أي هو بأسلوب معين استطاع أن يحافظ على سيطرته علينا، ونمر على هذه الركائز بسرعة:

- الحفاظ على التجزئة بعد الاستقلال الشكلي، بل هو يحاول أن يقسم حتى هذه الأقسام الصغير؛ فيخطط لتقسيم العراق –بغض النظر عن فكر صدام والنظام العراقي– إلى ثلاث دول سنية وشيعية وكردية، وتقسيم سوريا إلى دويلات نصيرية وكردية وإلى آخره، فعملية التجزئة تعطيه السيطرة.
- قيام كيانات هشة؛ فقام بتقسيم العالم الإسلامي إلى نوعين من الدول: النوع الأول كيانات هشة ضعيفة تركها بحكم أمراء وملوك يغلب عليهم البذخ وبعثرة أموال المسلمين، فهؤلاء الناس سلمهم بيت مال المسلمين (..)، أما الدول الأخرى الفقيرة –وعادة الفقر يدفع للعمل والعمل يدفع للتحرك– فحتى لا يتحرك الناس وضعوا عليهم أنظمة ديكتاتورية عسكرية، (..) فحاصر الدول الفقيرة بحيث لا أحد يستطيع أن يتحرك، فأصبحت أموال المسلمين في مكان يعتمد عليها فيه لتغريب الناس وإفسادهم؛ حتى بدأ الفساد من عليَّة القوم من الأمراء وانتهى حتى وصل إلى عامة الناس، فتكاد لا تقع إلا على الطالحين، وبقي الملتزمون في المساجد وفي العمل الإسلامي وباقي الأمة جاهلة لا تفقه من أمرها شيئًا، ولم تدخل أمريكا هذه المناطق إلا وقد تأكدت سلفًا أنه لم يعد فيها بذرة مقاومة، فهذا كله جاء من البذخ ومن بطر نعمة الله. فهو حافظ على هذا ليحافظ على المكتسبات.

وهنا أيضًا دور الفقر الشديد؛ الآن مثلاً في سوريا من شدة الفقر الناس أصبحت مستعدة لأي شيء، ولا أحد يعترض على شيء؛ نزعوا الحجاب وأهانوهم وكفروهم ونشروا فيهم

الدعارة وإلى آخرة (..)، فالفقر أتى بنفس النتيجة التي جاء بها التغريب والبذخ في الخليج، ففي النهاية أصبح الناس سواء وعقولهم سواء؛ هناك بسبب البذخ وهنا بسبب الفقر.

- التغريب الفكري (الغزو الثقافي)؛ (...) والغزو الثقافي والتغريب الفكري أمر واضح بالإستشراق والأفكار التي دخلت علينا في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات والستينات؛ فدخلت علينا القومية والوطنية والشيوعية وإلى آخره، والآن آخر هذه الموجات الموجة الديمقراطية.
- الحملات التنصيرية؛ وطبعًا كل عنوان من هذه العناوين يحتاج لمحاضرة كاملة؛ فمن الأساليب التي استخدمها الحملات التنصيرية، وأقول لكم فقط حتى لا تظنوا أن هؤلاء لم يقطعوا شوطًا: تنصر في أندونيسيا خلال ٢٥ سنة ٢٠ مليون مسلم، كارتر[٥] في الدورة الماضية للإتحاد مجلس للكنائس العالمي وضع مخططًا لتنصير كامل إفريقيا السوداء مع نهاية سنة ٢٠٠٠م، أي حسب مخططه فبنهاية سنة ٢٠٠٠م من المفروض أن تكون تنصرت كافة إفريقيا السوداء، (...) فغدًا يأتونا بالملايين من ذراري المسلمين ليحاربونا بهم. فمن الأمور التي اعتمدوا عليها تنصير أبناء المسلمين.
- الغزو الداخلي عن طريق الماسونية[٦] والروتاري[٧]، فأعدوا لنا جيلًا من العملاء؛ فلم يرضوا أن يعطونا الاستقلال إلا عندما ضمنوا أن هناك كثير من العملاء، ولو راجعت تاريخ (..) تجد أن ماسونيّي تلك الدول هم الذين استلموا الحكم بتلك الدول.

---

[٥] جيمس كارتر، رئيس الولايات المتحدة التاسع والثلاثون وذلك في الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨١. من الحزب الديمقراطي.

[٦] الماسونية: عرفتها دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٨١) بأنها "أكبر جمعية سرية في العالم." أسست الماسونية الحديثة في القرن السادس عشر الميلادي وهي جمعية تسيطر عليها الصهيونية وتستغفل كثير من أعضائها سعيًا لإقامة دولة إسرائيل الكبرى وبناء هيكل سليمان والسيطرة على العالم.

[٧] الروتاري العالمي (Rotary International) جمعية ماسونية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة تتظاهر بأنها منظمة تطوعية للخدمة العامة، أسسها في شيكاغو في عام ١٩٠٥ بول هاريس (محامي) وثلاثة من أصدقائه هم: سيلفستر شيلي (تاجر فحم) وجوستافوس لوير (مهندس مناجم) وحيرام شوري (خياط)، وتعني كلمة روتاري "التناوب" لكون الاجتماعات كانت تعقد بصورة دورية.

بعض الدول فيها الماسونية سرية وبعض الدول الماسونية فيها نصف سرية ...، وبعض الدول الماسونية فيها علنية تمامًا؛ في الأردن أحيانًا تجد في الصحيفة الرسمية مثل "الراية" أو "الدستور" أو "الشعب" إعلانات مثل إعلانات الحفلات والمبيعات وغيره تجد إعلانًا مثلًا: "يعلن المحفل الماسوني عن اجتماع في فندق كذا فعلى الأعضاء تجديد اشتراكاتهم قبل موعد كذا وكذا"، وهناك الآن محفل للملك حسين ومحفل لأخيه حسن وربما هناك محفل لزوجة الملك حسين، والقضية علنية جدًّا. (..)

فبهذه الطريقة أصبح هناك أجيال من العملاء ومن الماسونيين يستعصي عليك أن تنهيهم بطريقة "أنا أهدي وهم يضلوا"؛ بهذه الطريقة أنا أهدي عن طريق الدعوة والمساجد بإمكانيات محدودة ومقموعة وهم يضلّوا بأساليب مفتوحة وبإمكانيات حسب ما يريدون، فهذه أحد الأساليب التي استخدموها.

- النقطة الأخرى ونستقيها من إذاعات الدول العربية؛ وهي وجود إسرائيل؛ وهذا صحيح فوجود إسرائيل عملية إحباط مستمر، وتستطيع أن تضرب في الوقت المناسب فتكسب المعركة عسكريًّا فتقتل منا آلاف القتلى وفي نفس الوقت الملايين التي بقت تكون أخذت حقنة إحباط لعشرين سنة أخرى بحيث أنه لا يمكن لأحد أن يفكر بتغيير هذا الوضع، فوجود إسرائيل أحد هذه المرتكزات.

المرحلة الأولى للحركة الإسلامية (١٩٣٠-١٩٥٠م)

الآن ننتقل ونقول:-

بعد أن وصلنا لهذا الوضع تدرجت الحركة الإسلامية منذ سقوط الخلافة ومرت بمراحل، والحقيقة حاولنا أن نتلمس خط هذا التدرج بصرف النظر عن الحركات؛ أي التغييرات الحركية

للعمل الإسلامي، أي دراسة فكرية حركية؛ كيف تدرج العمل الإسلامي بدون أن أقول الإخوان المسلمين أو حزب التحرير أو التبليغ.

حصل في العالم الإسلامي عملية موجات أي طريقة في التفكير، لاحظ مثلًا الإخوان المسلمين (الجماعة الإسلامية في باكستان، السلامة في تركي، الغنوشي، الترابي)؛ فهذه الحركات هي من الناحية التنظيمية حركات مختلفة ولكنها موجة؛ بحيث أن فيها نفس الأسلوب، نفس الروح، ونفس الفكر، تختلف في بعض القضايا ولكنها موجة واحدة.

فحاولت أن أدرس هذه الموجات بحيث أضع مخططًا يوضح كيف تطور العالم الإسلامي كله حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن، عملية وجود أطروحات جهادية؛ فوصلت إلى أنه – والله أعلم– منذ سقوط الخلافة الإسلامية بدأت تظهر في العالم الإسلامي روح أكبر من يمثلها هي حركة الإخوان المسلمين وتحديدًا طريقة حسن البنا.

طريقة حسن البنا وما شابهها كحركة التحرير بدأت في عالم ١٩٣٠م وأخدت مداها إلى عام ١٩٥٠م واعتمدت تقريبًا على مزيج من الدعوة والتربية وممارسة السياسية، بالإضافة إلى تبنيها لسياسة شرعية جمعت بين الغث والسمين بحيث تدرك مباشرة أن هذا العمل لم يقم على أيدي علماء محقِّقين؛ أي لم يقم على أيدي من عنده منهج، فتجد أن هذه الجماعات تبنت الجهاد وتبنت التربية وتبنوا أمورًا حسنة وفي نفس الوقت تبنوا البرلمان وتبنوا مداهنة الملك (..) وتبنوا قضايا لا يمكن أن تجتمع بصورة طبيعة، فهذا الخليط بين الاتجاهات الذي فيه جهاد وفيه تربية وفيه تجاوزات شرعية؛ ميزت العمل الإسلامي في المرحلة من ١٩٣٠م- ١٩٥٠م تقريبًا، -طبعًا هذه التواريخ تقريبية- فعندما يزول تيار ويأتي تيار تحصل عملية تبادل، كما يقول المؤرخون مثلًا انتهت فترة العصور الوسطى بسقوط القسطنطينية وبدأ العصر الحديث.

فأقول هذا الجيل الأول بهذا النوع من التفكير بدأ في عام ١٩٣٠م على يد حسن البنا في مصر، وعلى يد الجماعة الإسلامية في باكستان وغيره حتى وصل لأندونيسيا؛ وتجد أن الروح واحدة وهي السعي لعملية الجمع الغثائي وكانت النية حسنة والله أعلم؛ فالناس

جاهدوا في هذا الأمر واعتقلوا وقتلوا واغتيلوا، ولكن لا يدفعنا حبهم وإخلاصهم وما نراه من تضحياتهم أن نقول ليس هناك عملية جمع غثائي، فتجد حسن البنا مثلًا يقول أنه يسعى لحركة "صوفية سلفية"، فتدرك مباشرة أن الرجل عنده نية حسنة ولكن عنده تميع في مواجهة البدعة حتى طُرح شعار آخر (سنية شيعية)، فهذا الشعار وضعه حسن البنا ووضعه مصطفى السباعي وكان الغرض منه أنه حتى الشيعة لا نريد أن نخرجهم ونريد أن نجتمع معهم، ولكن الدراسة العلمية تخبرنا أن حسن البنا قُتل بعد تسعة أشهر من محاولة التغيير –رحمه الله– في حين مصطفى السباعي –المراقب العامل للإخوان المسلمين في سوريا– عاش وحقق في هذا الشعار فوصل للحق وكتب كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) فأنكر على الشيعة وقال هؤلاء الناس ضالون وكذا.

فأقول أن هذا الكلام قيل بنية حسنة وأنا أحاول أن أعتذر لحسن البنا، وأقول أنه لو كان عالمًا محققًا ما تقرب من الشيعة ولكن الرجل أخطأ ولو عاش فأظن أنه كان سيقول كما قال مصطفى السباعي في كتابه فقد قال: الشيعة ضالون وكذا.

فالمهم أقول: يغلب على هذه المرحلة السعي للجمع.

المرحلة الثانية للحركة الإسلامية (١٩٥٠م-١٩٦٥م)

حيث انشطر من هذه المدرسة ثلاثة تيارات:

التيار الأول هو تيار التكفير: فمن هذه العباءة المتجمعة وبسبب ما حصل من مصادمات مع النظام وضغوطات خرج من هذا العباءة تيار لا يتصور أن في المسلمين أناس يمكن أن يسكتوا عما يجري لهم (...)، فتجد أخ يقول له هؤلاء مسلمون ولا يجوز أن تكفرهم بدون أن يأتي بمكفّر، فيقول له بل هم كفار وإذا لم تكفرهم فأنت أيضًا كافر، (...) فبدأت القضية كرد فعل ثم تسارعت القضية ووُلد تيار نتيجة أمرين: قمع السلطات الفاحش وتسيب العمل الإسلامي الذي لم يتخذ من هذا لا فكر ولا موقف ولا ردع؛ فهؤلاء

الناس لم تتحمل عقولهم هذه القضية فأسسوا تيار تكفير، ولكن أقول أنه تيار وليس تنظيم؛ يعني مدرسة وناس تؤمن بهذه الفكرة.

التيار الثاني تيار فكر الجهاد : الذي ولد على يد سيد قطب –رحمة الله عليه– والقسم الأول من فكر المودودي، وأقول المودودي كان أستاذ سيد قطب في ما ذهب إليه وأثر عليه كثيرًا ولكن بعد ذلك المودودي نفسه تراجع للأسف إلى منحنى المدرسة الثالثة التي سأذكرها، أي المودودي عنده سياستان أو فكران: فكر الجهاد وما كتب؛ ثم الفكر الذي تمثله ممارساته حيث أنه دخل في البرلمان في حياته، فأقول أن هذا التيار الذي سميناه تيار فكر الجهاد بدأ يتبلور.

التيار الثالث يمثله حسن الهضيبي [8] –رحمه الله:– وهو الذي وضع لهذا التيار شعار هو حقيقة من أحسن الشعارات تعبيرًا عن الصحوة؛ فقال: "دعاة لا قضاة"، أي نحن ندعو الناس إلى ما عندنا ولا نقضي فيهم سواء كانوا حكامًا أو محكومين، ولا نعطي رأي في القضاء ولا نقول له أنت مسلم أو أنت كافر أو أنت عليك كذا.

فخرج من هذه المدرسة أمثال عدنان السيسي الذي كتب كتابًا سماه (من السجن إلى الدعوة)؛ فهذا العنوان أيضًا من أبدع ما يكون في التعبير عن هذه المدرسة؛ فلو أكمل الشعار فمن الممكن أن تقول من الدعوة إلى السجن ومن السجن إلى الدعوة إلى المقبرة، فنشأت هذه المدرسة التي تقول: "نحن مهمتنا أن ندعو وليس لنا علاقة بالقضاء والنظر في الأحكام".

هناك بعض الناس من أبناءِ هذه المدرسة بالغوا وغلو في المسألة؛ مثلًا هناك رجل في سوريا اسمه جودت سعيد لعلكم سمعتم عنه، هذا الرجل كتب نظرية أسمها (ابن آدم الأول) قال: نحن يجب أن يكون تعاملنا مع الطغاة والأعداء وكل الذين يقتلوننا على طريقة ﴿لَئِن

[8] **حسن إسماعيل الهضيبي** هو المرشد الثاني لجماعة الأخوان المسلمين في الفترة [١٩٥١-١٩٧٣]م.

بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]
فنحن على طريقة ابن آدم الأول.

حتى خرج من هذه المدرسة فلاسفة وكتاب أحدهم كاتب اسمه خالد كتب كتابًا أسماه (في النقد الذاتي) شاهدته في بعض المكتبات هنا؛ (..) وقد التقيت أنا بهذا الرجل وهو طبيب وجراح وبقي في ألمانيا ٢٠ سنة، التقيت به في أحد المرات في أوربا فلما علم أني درست التاريخ استبشر ودار بيننا حوار فأعطيكم مختصر الفكر الذي قاله:

قال: "انظر لغاندي[١٠] رجل حرر الهند بدون أن يرفع سلاح، استثار حاسة الندم والحياء عند بريطانيا نفسها فاضطرها أن تعطي الهند الاستقلال.. وانظر مازندي.. وانظر إلى ابن آدم الأول؛ ابن آدم الأول استثار حاسة الندم عند أخيه عندما قتله"، فقلت له: النصيريون يريدون أن يقتلونا وينتهكوا أعراضنا الآن، فقال لي: "اتركهم يفعلون ما يشاءون فلا بد أنه سيخرج فيهم جيل تستجيش عنده حاسة الندم فلما تستجيش فيه حاسة الندم فهذا الإنسان سيتحضر ويتطور"، ثم قال لي: "والعقل ليس للإنسان غيره انظر لأفلاطون، وانظر لأرسطو".. (..) ، فكل حديثه حول الفلاسفة من هؤلاء ثم قال لي كلمة سيئة: "أنا أسجد للعقل"، فقلت له: كيف تقول هذا! أما أنا فلا أسجد إلا لله، فقال لي: "يا أخي العقل هو المصدر الأساسي لكل هذه القضايا"، فقلت له: "..."، فقال لي" :يا أخي أنت مخيف والعياذ بالله وأنت وأمثالك الذين تملئون التاريخ بالدم."

فأنهينا أن أخرجت هذه المدرسة جماعة "نحن دعاة لا قضاة" وجماعة "من السجن إلى الدعوة" وجماعة "ابن آدم الأول" وجماعة ليس لديها أي نوع من المجاهدة ولا أي نوع من

---

[٩] سورة المائدة: (٢٨).

[١٠] الهندوسي الهندي موهانداس كرمشاند غاندي (Mohandas Karamchand Gandhi)؛ القائد السياسي لحركة استقلال الهند، دعى لفلسفة "للساتياغراها" وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل. من أقواله الشاذة "لو أراد هؤلاء النبلاء دخول منازلكم، اتركوا منازلكم. إذا لم يعطوا لكم الإذن لذهابكم بحرية، ارفضوا تقديم التزامكم لهم، لكن اعطوا الإذن لذبحهم لكم رجالًا نساءً وأطفالًا". أغتيل عام ١٩٤٨ على يد هندوس متعصبين.

القضاء، (..) ونحن مهمتنا الدعوة وأن نقول له ما الحق وما هو الباطل، بل تطورت القضية وأصبح بعضهم يقول لو حسني مبارك أصبح يخدم الإسلام فنحن أول ناس سنقف معه، وهذا الكلام صحيح وحتى لو جاء الشيطان وأصلح وأصبح يحكم بما أنزل الله فما (..) ولكن هذا الرجل لن يحكم بما أنزل الله والقضية واضحة.

فأقول انشطر من مدرسة حسن البنا ثلاث اتجاهات أو ثلاث تيارات:

أولًا: تيار التكفير كفكر.

ثانيًا: تيار الجهاد كفكر.

ثالثًا: تيار الدعوة تحت شعار "دعاة لا قضاة. "

فهذه المرحلة استمرت من عام ١٩٥٠-١٩٦٥م.

المرحلة الثالثة (١٩٦٥-١٩٧٥م)

في المرحلة الثالثة من عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥م حصل التالي:

أولًا: تيار التكفير:

تيار التكفير انشطر إلى تيارات تكفير؛ وحدث نفس الذي حدث مع الخوارج قديمًا؛ فأصبح هناك مكفرون غلاة ومكفرون متوسطون، وهناك من هو أقل منهم؛ وكل واحد عنده أدلته، (...) فكان تدخل جماعة منهم للسجن مكفرة لجهة معينة فيختلفون فعندما يخرجون يكونون قد انقسموا لعدة جماعات تكفر بعضها، حتى حدثني أحدهم أنه كان هناك شخص يكفر على (...) فلما خرج من السجن زميله تاب وترك هذا الفكر فسُئل لماذا كنت تكفر الناس؟ فقال لهم: أنا كنت كافر!

فالأصل أقول تحول هذا التيار من فكر تكفير عام إلى مذاهب في التكفير، وهذا حصل في الفترة من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥م.

ثانيًا: تيار الجهاد:

الفكر الجهادي تطور من عملية فكر وأطروحات أبدع بها سيد قطب وغيره –رحمه الله– وأمثاله، وهناك بعض الناس (...)؛ فتجد أحيانًا لعبد القادر عودة على ممارساته –غفر الله له– تجد له كتب في الجهاد من أنقى ما كتب، أي حصل تيار يترك فكر معين ثم يحصل أن (...) خرج جيل من الشباب معظمهم كان يتربى في الحركات الإسلامية فبدأ ينتقل إلى خلاصات هذا الفكر الإسلامي؛ فمع نهاية عام ١٩٧٥م أصبح وتنظيمات تريد أن تطبق ما تعتقده من الفكر الجهادي.

المرحلة الرابعة (١٩٧٥-١٩٩٠)

المرحلة الرابعة تمتد من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٩٠م وهي المرحلة التي نحن فيها؛ فالذي حصل كالتالي-:

الذي أعتقده وأراه أن تيار التكفير اضمحل في هذه المرحلة؛ قد يكون هناك أفراد لا زالوا يقولون به ولكن كتيار اختفى، وأقول هذا التيار لو كان يحمل حقًّا أو كان يحمل روحًا ولو روحًا باطلة لكان أخرج حركات؛ حتى الخوارج في العصر الإسلامي الأول أخرجوا حركات؛ لأنهم كانوا خوارج لديهم روح وإن كانوا على باطل، فلو تنظر إلى مرجئة أو خوارج العصر الأول هم كانوا ضالين منحرفين ولكن كان عندهم منهج، أما مرجئة وتكفيريّ العصر الحالي فليس عندهم شيء، هو مرجئ لأنه فقط يريد أن يرجئ حكم الحاكم، فقط لأنه لا يريد أن يتعرض للحاكم.

فأقول كثير على هؤلاء المنحرفون في العصر الحديث لا يستحقون أن نقول عنهم مرجئة أو خوارج؛ تكفيريّ العصر الحالي لا يستأهلون أن تقول عنهم خوارج؛ الخوارج الأول كانوا

عبّادًا وكانوا زهّادًا وكان الصحابي يحقر صلاته إلى صلاة أحدهم وصيامه إلى صيام أحدهم، ولما سئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هل هم كفار؟ قال: من الكفر فرّوا، يعني هم ناس انحرفوا مع أنهم كانوا على خير وعبادة ولكنهم ضلّوا.

أما خوارج اليوم أو تكفيريّ اليوم لا يتعلم أحدهم من أحكام الكفر إلا أربعة أحكام فيكفر عامة الناس، وبالمقابل تجد عالم كبير طويل عندما تسأله عن قضية الحكام يقول لك: "يا أخي من يشهد أن لا إله إلا الله فحسابه على الله فلا تكفرُّوا الناس"، فأقول هذا الإنسان إذا قارنته بمرجئة الزمان الأول تحترم مرجئة الزمان الأول معه، هؤلاء الناس قوم منافقون لولا أنهم على الإسلام، فأقول بدأ يضمحل تيار التكفير في هذه الفترة ١٩٧٥-١٩٩٠م.

النقطة الثانية أن تيارات الجهاد التي انتقلت إلى تنظيمات أفرزت حركات متعددة ومتشعبة ولها جذور؛ لو تنظر إلى قصة حركة الجهاد في سوريا؛ بدأ الجهاد في سوريا عام ١٩٧٣-١٩٧٥م، وأنصح بقراءة المذكرة السورية ليس لأنها تجربتنا ولكن أقول لن تكتمل معلومات الإنسان حركيًّا إذا لم يطلع على المذكرة السورية، أي ستبقى ثغرة في فهم الحركة عند من لم يطلع على هذا الكتاب، فهذه الحركة الجهادية في سوريا استمرت ١٥ أو ١٦ سنة (..)، فأصبح هناك في هذه الفترة (١٩٧٥ - ١٩٩٠م) حركات متأصّلة؛ فقام الجهاد في سوريا وقامت بوادر الجهاد في الجزائر، وقامت حركات أصيلة في مصر (...)؛ فتيار الجهاد في مصر قام عليه تنظيمات كبيرة مثل جماعة "الجهاد" و "الجماعة الإسلامي" وهي تنظيمات استكملت مقومات التنظيم، وإن شاء الله لو جمعنا الله بمحاضرة أخرى فلعلنا نتكلم عن مقومات التنظيم؛ يعني متى تعتبر تجمع ما تنظيمًا وما لا تعتبر تنظيمًا لم مجرد تجمع إسلامي؟[11]

[11] انظر محاضرة (مقومات التنظيم ودور المنهج) قامت مؤسسة التحايا بنشر تفريغ لها وهي منشورة في الإنترنت على شكل شريطين الأول باسم (أسس ومقومات التنظيم) والثاني بعنوان (دور المنهج في التنظيم).

فكثيرًا ما تجد تجمع من الناس يضم ٥٠٠ أو ٧٠٠ فردًا يعتبرون أنفسهم تنظيم؛ ولكن أنا لا أعتبرهم تنظيريًا تنظيم؛ فليس عندهم فكر ولا منهج ولا قيادة، وإن شاء الله في محاضرة أخرى أتكلم عن مقومات التنظيم ومتى تعتبر تجمع ما تنظيمًا.

فأقول في مصر هناك تنظيمات رغم أنهم يتخبطون في التجارب، فما ميز الفترة الرابعة (١٩٧٥-١٩٩٠م) هو قيام تنظيمات جهادية ما زالت تتخبط في الأسلوب وصولًا للصواب.

والآن ننتقل لنقول ماذا حصل لتيار الدعوة في هذا المرحلة؟

الذي حصل أن أبناء هذا التيار اتجهوا إلى الاتجاه الديمقراطي، طبعًا بوادر الديمقراطية بدأت تغزوا الفكر الإخواني من المرحلة السابقة (١٩٦٥-١٩٧٥م (فمن تلك الفترة بدأت توجد عندهم أفكار الديمقراطية، وأنا لمستها بنفسي في محادثات التحالف التي حصلت بين الإخوان المسلمين السوريين وبين الأحزاب المرتدة بواسطة العراق؛ فحصل سجال طويل عريض حول كلمة الديمقراطية؛ وفرَّ الإخوان من هذه الكلمة وصارعوا كثيرًا حتى لا تُكتب هذه الكلمة ولم تُكتب في النهاية، ولكن لو جئت تتأمل في هيكل الديمقراطية فتجد أن ممارسات قيادة الحزب تجسيد حقيقي للديمقراطية؛ فيأتي أخوان وبعثيون وناصريون ويدخلون في حلف؛ فهذا الأمر تجسيد حقيقي للديمقراطية فهم لم يستخدموا كلمة الديمقراطية ولكنهم أقروا هيكلها فقالوا: "وسنقيم حكومة مشتركة تجيز تعدد الأحزاب والحكومات"، فهذه الإباحة للديمقراطية ولكن كان هناك شيء من الحياء في تبني الديمقراطية استمر حتى عام ١٩٨٩م.

كان قديمًا إذا قلت للإخوان أنتم ديمقراطيين يقولوا لك: يا أخي اتقِ الله كيف تقول أننا ديمقراطيين، نحن دعاة كذا وكذا، فزال هذا الحياء لدرجة أنك تجد المرشد العام يتغنى بالديمقراطية.

وقد رأيت كلامًا جميلًا في سلسلة مقالات أبي بصير الطرطوسي التي كانت بعنوان "الديمقراطية والتعدّدية الحزبية" حيث نقل كلام لحامد أبو النصر[١٢] يقول: "نحن ديمقراطيون قلبًا وقالبًا ومن يتغنى بعدم الديمقراطية لا يعرفنا وهو من الذين يلقوا الكلام جزافًا" هكذا قال جهارًا نهارًا، (..) حتى أن أخونا الذي كتب المقال أتى بمقاربة لطيفة؛ أتى مباشرةً بعد هذا الكلام كلام للشيخ حسن البنا ينكر فيه الديمقراطية ويقول أنها من الكفر، ثم علق على هذه المقاربة فقال: "لعل حسن البنا في نظر حازم أبو النصر لا يعرف الأخوان وهو ممن يلقي الكلام جزافًا."[١٣]

فأقول في الفترة (١٩٧٥-١٩٩٠م):-

- اضمحلت تيارات التكفير ولم تقم على أرجلها كتنظيمات.
- قامت تيارات الجهاد وأفرجت عن الفكر الجهادي.
- اتجهت التنظيمات الدعوية الأخرى أصحاب نظرية "دعاة لا قضاة" بكل أقسامها للديمقراطية.

فالتنظيمات الدعوية اتجهت بكل أقسامها للديمقراطية؛ مثلًا الجماعة الإسلامية ليسوا من تنظيم الإخوان ولكنهم من نفس المدرسة، وكذلك حزب الرفاه التركي بقيادة أربكان؛ وأربكان هذا وصل إلى نائب رئيس الوزراء في مرحلة من المراحل وربح الانتخابات، وهذا الحزب لديه عدد أعضاء يصل إلى مليوني عضو، فلديهم مليوني عضو من ٥٠ مليون هو عدد سكان تركيا..

حتى إني التقيت مرة برجل اسمه عثمان أحمد مكي رئيس تحرير مجلة الراية السودانية من جماعة حسن الترابي؛ وهو عضو في البرلمان ومعه دكتوراه في الإعلام وهو كذلك رئيس تحرير المجلة الناطقة باسم الجبهة القومية الإسلامية، زارنا في المركز الإسلامي في أوربا وألقى محاضرة

---

[١٢] **محمد حامد أبو النصر** المرشد العام الرابع لجماعة الأخوان المسلمين [١٩٨٦-١٩٩٦]م

[١٣] سلسلة مقالات "حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية" للشيخ أبي بصير الطرطوسي عبد المنعم مصطفى حليمة، جمعها الشيخ في كتاب منشور على موقعه الرسمي.

فكان مما قال: "أصبح عندنا عدد الأعضاء العاملين في الجبهة القومية الإسلامية بقيادة الترابي ٧٥٠ ألف عضو مسجلين، فيهم وزراء وسفراء وضباط وأعضاء في السلك الدبلوماسي"، حتى أنه قال: "لا يرفع تقرير للرئيس السوداني النميري قبل أن تأتي نسخة منه للترابي، واتحاد الطلبة ٩٥% منه من الجبهة واتحاد العمال 75%منه من الجبهة حتى المؤسسات الاقتصادية والبنوك فيها ٦٥% من الجبهة"، وهذا الكلام كان من قبل انقلاب الإسلاميين في أيام نميري من أيام الترابي، فكان يتباهى بهذا الكلام والناس كانوا فرحين في المحاضرة فقلت له: يا أستاذ أريد أن أسألك سؤالًا، فقلت له: يا أخي لو كان عندك ٧٠٠ ألف عضوًا فهذا عدد كافي لتشكيل أربعة جيوش من الجيوش التي قال عنها الرسول ﷺ: (ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة). (..) [١٤]

فهؤلاء الناس أخرجوا لنا هذا التيار؛ وأصبح الفكر الديمقراطي ليس مجرد وسيلة بل أصبح قناعة عند كثير من الإسلاميين، فالديمقراطيون المنحرفون مراتب في الضلال؛ أعلاها ما وصل إليه الترابي والغنوشي، وأدناها ما يفعله عباس مدني -فرّج الله عنه-؛ لأن عباس مدني ليس مقتنع بالديمقراطية، وقد حاوره كثير من الإخوة فكان خلاصة قوله: نحن نعمل بالديمقراطية وننافس الأحزاب حتى نستلم الحكم؛ فإذا استلمنا الحكم فلا ديمقراطية ولا يحزنون، وسنقيم حزبًا واحدًا إسلاميًّا، فهو ينكر الديمقراطية .

ولكن جاء بعض الصحفيين وقال: "أنتم متهمون بأنكم تريدون أن تتبعوا سياسة الحزب الواحد، فما تقول إذا جاء حزب يريد أن ينطق بكلمة الكفر في دولتكم المقبلة؟" فقال: "سنسمح له أن ينطق بهذا الكفر؛ لأن هناك تعددية حزبية وعندنا قانون".

---

[١٤] قال الإمام سلمان العلوان: [هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن وهب بن جرير (١ / ٢٩٤) وأبو داود (٢٦١١) والترمذي (١٥٥٥) وابن خزيمة (٢٥٣٨) وابن حبان (٤٧١٧ (وغيرهم من طرق عن وهب بن جرير عن أبيه عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعة مئة وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ..). ثم ذكر الشيخ أن الصواب أنه مرسل ولا يصح مرفوعًا.

فأقول هذا من أقل الناس سوءًا في الديمقراطيين؛ لأنه لا يعتقد بالديمقراطية ولكنه يعمل بها، فأقول عملهم معصية؛ فهو يستخدم لنصرة الإسلام والمسلمين أسلوب محرّم وهو أسلوب الديمقراطية.

أما في الطرف الآخر فتجد أناسًا معتقدين بالديمقراطية، وأضرب لكم مثال (..)وهو الغنوشي، الغنوشي التقيت به في جمع حافل بإحدى الدول عبارة عن سهرة فيها حوالي ١٥ شخص، وكانوا خارجين من الانتخابات حيث سمح لهم "زين العابدين" بأن يشاركوا في الانتخابات فاكتسحوا وجاؤوا بنتيجة جيدة، ثم بعد ذلك طالبوا بصحيفة فلم يمنحهم ذلك وبدأ التصعيد بينهم حتى حصل الآن الانفجار وطردهم ولم يعترف بانتصاراتهم ولا شيء، فلما طرد الغنوشي ونكِّل بجماعته قالوا: اقتنعنا أن لا إله إلا الذي آمن به موسى وهارون، الآن اقتنعنا بالعمل العسكري.

فكان الغنوشي خارج من تجربة ديمقراطية وتكلم عن في هذا اللقاء عن الديمقراطية حوال ثلاث مرات، وأنا رأيت أن أسأله بعض الأسئلة؛ لأن كل المجال المتاح ساعة ونصف فلن نستطيع أن نقنع بعضنا بعضًا فنريد أن نتعرف على فكر الغنوشي فسألته عدة أسئلة.

وهو قال في المحاضرة: "نحن ندعو إلى الخير الذي عندنا وهو الإسلام، والأحزاب تدعو إلى الكفر الذي عندها من العلمانية والشيوعية والضلالات التي عندها؛ في ظل اللعبة التي ارتضيناها جميعًا وهي الديمقراطية، فإذا اختارنا الشعب حكمنا بالإسلام وسمحنا للكفر أن يرفع عقيقته في دولة الإسلام وأن يكون له أحزابه وصحائفه؛ لأن الإسلام لا يخشى عليه من الحرية ولكن يخشى عليه من الإستبداد، فنحن لا نخاف على الإسلام من أن نسمح للشيوعي أن يطرح ويقول: لا وجود لرب العالمين. وإذا الشعب اختارهم يعني اختارت الأكثرية الكفر فنحن نقبل؛ لأنه لا إكراه في الدين؛ على أن يسمح لنا هذا الكفر بأن يكون لنا حريتنا وأحزابنا وصحفنا لندعو إلى الحق ونحن على يقين أننا لو منحنا الحرية فإننا سنصل إلى الحكم."

ثم لخص هذه المصائب كلها وقال وأنقل عنه بالحرف: "فالحكم الأول والأخير في قضية الكفر والإيمان هو الشعب."

فقلت: يا شيخ هل تتحمل مني أن أقول لك رأي أم ستغضب مني؟ فقال: "أنا أتحمل من الكفار فكيف لا أتحمل من أخواني"، فقلت له: أنا أعتقد أن هذا الكلام الذي قلته لو طبقته فهو كفر مخرج من الملة، هذا الكلام أن تقول أن "الحكم الأول والأخير في قضايا الكفر والإيمان هو الشعب" كفر، فقال لي: أن لم أقل ذلك، فقلت له نحن مسجلون الكلام وأعد الكلام مرة ثانية بأسلوب آخر؛ فأعاد نفس الكلام، فهذا الرجل ديمقراطي معتقد بالديموقراطية **[١٥].

فهذا الرجل ليس مثل عباس مدني يستخدم أسلوبًا محرمًا، بل هو معتقد بالديمقراطية، يعني مثل عباس مدني في الديمقراطية كمثل رجل يقول أنا سأستأجر عاهرة فأخرج معها في الساحة لأنني عندما أمشي معها فالناس لن يظنوا أنني شيخ أو جهادي (..)، أما الغنوشي فمثله كمثل رجل يقول المسألة بسيطة فأنا سأعتبرها نكاح متعة وآخذها وهذا الأمر حلال أصلًا؛ فيدخل بقضية الاعتقاد بالانحراف.(..)

وأنا تابعت الغنوشي في مقالاته، والغنوشي تلميذ مباشر لحسن الترابي، حتى كان يُسأل حسن الترابي ما رأيك في فلان وما رأيك في فلان، فلما سئل عن الغنوشي قال: هو من أنجب تلاميذي؛ فالترابي يقول عن الغنوشي هو من أنجب تلاميذي (..) .

المهم حتى لا أطيل أقول أن التيار الديمقراطي تبلور وأصبح له ممارسات، بدأت هذه الممارسات على استحياء من عام ١٩٧٥م حيث حصل تحالف بين الإخوان المسلمون في مصر مع حزب الوفد ثم حزب التجمع على مبدأ الديمقراطية، وكذلك حصل حلف بين الإخوان المسلمون في سوريا والأحزاب المرتدة بواسطة العراق كذلك على استحياء، وحصل أن الإخوان المسلمين في الكويت دخلوا مجلس الأمة أعلى مجلس ديمقراطي، وفي اليمن في

---

[١٥] انتهى هنا الملف الأول وابتدأ الملف الثاني.

خلال انتخابات سنة ١٩٩٠م دخل الإخوان البرلمان اليمني وكان فيهم مشايخ كبار وفيهم قادة الإخوان.

وهؤلاء لما دخلوا في البرلمان أخذ كل واحد منهم سيارة لاندروفر، وبسط له السجاد الأحمر، وأعطي صلاحيات برلمانية، وأصبح يقال له العضو فلان، وكل ذلك حتى يتأصل عندهم هذا الاتجاه، (..) فكما جاء في الحديث (من أتى أبواب السلاطين افتتن)[١٦]، فهناك نهي عن مجرد الدخول أبواب السلاطين ولو لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في سيرة الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– أن ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل –وهو محدث– كان يأتيه بالكتب يوميًّا؛ ففي مرة رد له الكتب ولم يقبلها، فلما سأله لماذا رددت إليَّ الكتب؟ قال: سمعت أنك دخلت على الخليفة، يعني أصبح في ماله وكتبه شبهة لأنه دخل على الخليفة، وكان يمكن أن يقول الإمام أحمد أن ابنه دخل ليناصح وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولذلك عبد الله بن المبارك –رحمه الله– كان يقول: "لا أرى الدخول على الخلفاء؛ معروف عرفوه منكر أنكروه فلماذا ندخل عليهم"، فهذه المسألة اجتهد فيها كثير من العلماء فدخلوا على السلاطين؛ أما هؤلاء فدخلوا على الطواغيت حتى للمشاركة.

فهذا الأمر حصل في كل أنحاء العالم الإسلامي؛ في باكستان الإسلاميون في البرلمان وفي تركيا الإسلاميون في البرلمان، وفي سوريا الإخوان دخلوا في الحلف مع الأحزاب العلمانية، وفي العراق هم مقموعون وليس عندهم القدرة أن يتنفسوا، في لبنان الإسلاميون ديمقراطيون والبلد فيها مصائب عديدة من الشيعة والطوائف الحاقدة على الإسلام، في الأردن دخلوا البرلمان والوزارات ووصول إلى قمة ما تصبوا إليه نفوس الإخوان في بلادٍ أخرى، في مصر تحالفوا مع حزب الوفد على أساس ديمقراطي ثم مع حزب التجمع، في السودان دخلوا مع نظام نميري في مسار ديمقراطي ثم بعد الانقلاب سمحوا بنشاط الأحزاب العلمانية وهم في السلطة؛ يعني إذا جازت لمستضعف أن يجهر بكفر فهل يجوز لك وأنت حاكم أن تجيز الجهر بالكفر؟
فسمحوا بذلك لأن روح الديمقراطية في قلوبهم، نأتي إلى ليبيا فتجد أن لا أحد يستطيع أن

---

[١٦] رواه أبو داود (٢٤٧٦)، والترمذي (٢١٨٢)، والنسائي (٤٢٣٥)، وأحمد (٣١٩٠)، من طريق سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن»

يتحرك، في الجزائر الحركة الإسلامية دخلت في الديمقراطية وتصريحاتهم ساقطة ؛ ولعل السجن من نعم رب العالمين عليهم لعلهم يتوبوا ونظن بهم خيرًا لأنهم أحسنوا كثيرًا ولكنهم أيضًا أساؤوا، فنسأل الله المغفرة لجماعة عباس مدني والآخرين .

أي وهم في أوج انتصاراتهم وفي أوج اكتساحهم للبلديات ونحن نقول للناس: يا جماعة هذا ضلال، وكان يستنكر علينا ويُقال لنا: كيف ضلال والجماعة وصلوا للحكم؟ فقلنا لهم: لو حكموا وأقاموا خليفة يتبنى الديمقراطية فسأعلم يقينًا أن الله لن يقيم لهم دولة وأعلم أنهم سيسقطون لأنني أعلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١٧]، هذا أسس على ملح وأسس على منهج ديمقراطي، والحمد لله أنه لم يرد لهم أن يوغلوا فسقطوا في المرحلة الثانية، وكما قال أخونا أبو طلال في الأسبوع الماضي "وكانت الجزائر مقبرة الحلول الديمقراطية"، وهذا من فضل الله حتى لا يوغل الإخوة أكثر.

فإذا ذهبت إلى المغرب تجد أن الحركة الإسلامية هناك مقموعة من الملك حسن ثم هي بعد ذلك متقبلة للفكر الديمقراطي، في الخليج تجد الجماعة ديمقراطيين مع أنه ليس هناك أصلًا حاجة للديمقراطية فليس هناك نظام ديمقراطي.

وهذا دليل قاطع على أن الفكر الديمقراطي تأصّل في العمل الإسلامي، عبد المجيد الزنداني وجماعته كانوا يقولون للجهاديين: يا جماعة أعطونا فرصة حتى يخرج الدستور فإذا جاء فيه كفر فافعلوا ما تريدون، فخرج الدستور كفري فاحتجّوا وقالوا نحن احتجينا وسنظل نحتج وسندخل للبرلمان لنحتج، فالجماعة متأصّل عندهم هذا الأسلوب.(..)

فأقول كتحليل بنهاية عام ١٩٩٠م بلغ الفكر التكفيري مرحلة الانحدار والاضمحلال ولله الحمد، وبلغ الفكر الجهادي مرحلة بلورة التنظيمات لعلها تنطلق -إن شاء الله سبحانه وتعالى-، وبلغ الفكر الإسلامي مرحلة التأصّل بالفكر الديمقراطي، هذا فيما يخص ماضي العمل الإسلامي...

---

[١٧] سورة يونس: (٨١).

هنا أريد أن أستطرد عن موضوع الغنوشي فأقول الغنوشي عبر عن فكره بصدق وهو صريح، أي لو تحقق مع واحد من الإخوان المسلمين مئة سنة حتى يعترف لك أنه يعتقد بالفكر الديمقراطي فلن يعترف، أما الغنوشي فقال عقيدته صراحةً فقال :نحن أن ندين بكذا ونعتقد بكذا، والآخرين لا يقولونه ولكن يفعلونه.

وقد رأيت مقابلة صحفية مع أحد أعضاء مكتب الإرشاد في الإخوان المسلمين وقد نسيت اسمه، فيقول الصحفي لعضو مكتب الإرشاد في مجلة النور الإسلامية" :يتهمونكم بأنكم حزب ديني، والقانون المصري لا يسمح لحزب ديني"؛ فأجابه عضو مكتب الإرشاد: "نحن لسنا حزبًا دينيًّا"، فقال له: "حسنًا، لو جاء واحد نصراني وأراد أن يدخل معكم؟ فقال له: "نعم نقبل أن يدخل في الإخوان المسلمين وحسن البنا أدخل نصارى في حركة الإخوان المسلمين".

أي أنا لو كنت أميل لحسن البنا لذكرت حسناته فالمفروض أن يذكر حسنات حسن البنا، فيقول حسن البنا جاهد وقاتل في فلسطين ووقف في وجه الطواغيت ولكنه قال:"أنا أدخل نصراني لأن حسن البنا أدخل نصراني!"، فحسن البنا أخطأ وأصاب فهل يجب أن نتبع كل أخطائه؟

فحسن البنا يا إخوان أحسن؛ وكان من أجمل ما أحسنه أنه نادى بالجهاد ووضع شعار للحزب من أجمل ما يكون، يعني لا يستطيع أي تنظيم جهادي أي يأتي بشعار أجمل منه "الله غايتنا، القرآن دستورنا، الرسول قدوتنا، الجهاد طريقنا، الموت في سبيل الله أغلى أمانينا"، وساهم في الجهاد في فلسطين، فهذا الرجل أحسن ولكنه كذلك أساء وكان مما أساء الدخول في البرلمان والدعوة لقضية الوحدة العربية، والتقرب مع الشيعة، إدخال النصارى حتى يرضي الأقباط ويفهمهم أنهم لو حكموا مصر فلن يجوروا عليهم، فالنية حسنة؛ فالرجل ليس معصومًا نأخذ منه ما أحسن كالجهاد ونترك منه ما أساء، وكل يؤخذ من كلامه ويرد، (..) أما هم فأخذوا منه دخول البرلمان والتقرب مع الشيعة ودخول النصارى وكل المصائب التي فعلها وأسقطوا الجهاد، فليتهم على الأقل أخذوا منه كل ما عنده، فهم يعيبون علينا أننا

أخذنا الحسن عند حسن البنا كالجهاد وتركنا السيئ كدخول البرلمان ثم يأتون فيتركون الحسن عنده كالجهاد ويأخذوا السيئ، فهذا منطق مرفوض.

ولذلك أنا أقول أنه يجب أن نعيد الحسابات في هذا القضية؛ ليس تجنيًا على أحد، وأقول أنا أخذت الإخوان كمثال لمدرسة عامة، ولو كان عندي معلومات عن عدة جماعات لكنت سأستشهد بهم فنحن نستعرض التيارات.

ووصلنا الآن لعام ١٩٩٠م، وأقول والله أعلم أن هذه السنة التي حصل فيها الغزو ستكون بداية نِعم من رب العالمين؛ بأن تيارات التكفير اضمحلت وتضمحل، وأن تيارات الديمقراطية كُشفت وهي إلى زوال؛ لأنه مهما بلغت قواعد الإخوان المسلمين من الإمّعية والتضحية والصبر فلن يقبلوا من قياداتهم أشياء غير معقولة، أما أن يوصلوهم للوزارات والبرلمان فلن يقبلوا؛ لأن كثير منهم تربّوا على فكر سيد قطب –رحمه الله، حتى أنني عندما كنت أعمل مع الإخوان في الأردن قال لي أحد الإخوان وكان موجّه متخصص في التربية والتدريس: "أنا أكاد أجن"، فقلت له: لماذا؟ فقال: "مطلوب مني أن أدرس كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب ومطلوب مني في نفس الوقت أن أدرس كتاب منير الغضبان "التحالف السياسي"، ونحن إذا وضعنا سيد قطب في ميزان كتاب (التحالف السياسي) فسنقول أنه متشدد ومتصلب وإذا وضعنا كتاب "التحالف السياسي" في ميزان فكر سيد قطب فسنقول أنه كفر؛ فسيد عنده كلام في التحالف أنه مخرج من الملة، فيجب أن نختار أحد الأمرين".

ولذلك لما وقعوا في تناقضات، قال عمر التلمساني[١٨] –رحمه الله –: "سيد لا يمثلنا فنحن يمثلنا حسن البنا وكتبه المعروفة وحسن الهضيبي وكتبه المعروفة وما نخرجه من المذكرات، أما سيد فهو مفكر إسلامي رأيه لا يلزمنا."

فأقول هم أوقعوا أنفسهم في إشكال؛ لأن قواعدهم التي فيها تربية وشبابهم الذين تربّوا على كثير من الخير لن يتحمّلوا هذا الانحراف؛ وبالتالي الذي يجب أن تعمل عليه تيارات

---

[١٨] عمر عبد الفتاح عبد القادر مصطفى التلمساني هو المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين.

الجهاد أن تستوعب قواعد الحركات الأخرى وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين والتي تضمحل الآن وتتساقط وتنحل.

وقال لي أحد الإخوة وكان في الأردن قبل أسبوعين فقال لي: "الناس في حالة تمزق عجيب، ليس على مستوى القواعد بل على مستوى قيادات كبار وأعضاء مجلس شورى، فهذا الإنسان ذو التربية السلفية والذي تربّى على كتب سيد قطب –رحمه الله– بدأ يرى أشياء لا يمكن أن تدخل في عقله".

وبالمناسبة أخوان الأردن يختلفون عن أخوان سوريا؛ فإخوان سوريا يغلب عليهم التربية الصوفية أما أخوان الأردن فيغلب عليهم التربية السلفية، فهناك تمزق حتى على مستوى أشخاص كبار؛ فهذا لعله بداية خير في المرحلة المقبلة.

دراسة وتنبآت للمرحلة المستقبلية القادمة (١٩٩٠ـ٢٠١٠م)

في المرحلة المقبلة (١٩٩٠–٢٠١٠م) وخلال ربع القرن المقبل –بإذن الله –سينحدر الفكر التكفيري الذي ليس له أرضية في العالم الإسلامي، وستسقط المدرسة الديمقراطية للأسباب التي نستعرضها، ولن يبقى إلا مدرسة الجهاد، ونسأل الله أن لا يستغرق هذا الأمر أكثر من هذا الزمن.

وهذه المعطيات لاحظها وعرفها الأعداء الذي يكيدون للمسلمين ولذلك رأوا أنه لابد من الاحتلال العسكري، وكان أحد أهم أسباب الاحتلال العسكري أننا –نحن جماعة الجهاد أو تيارات الإرهاب– أدخلنا هؤلاء الناس في قمع شديد الوعورة.

فعندما أرادوا أن يقيمونا قالوا أفضل الحلول لمحاربة التيار الجهاد إعطاء شيء من الحرية لتيار الإسلاميين الديمقراطيين حتى يحاصروا الجهاديين، حتى قالها كارتر بلسانه كما في أحد مقالاته المنشورة في كتاب (كشف الغمة عن علماء الأمة)[١٩] قال: "وقد نصحت أن يعطى

---

[١٩] كتاب كشف الغمة عن علماء الأمة للشيخ سفر الحوالي.

الأخوان المسلمين في الأردن مقاعد في البرلمان لحصار التيار المتطرف، وأن تدفع حماس وتدخل في البلديات لصالح إبعاد تيار الجهاد عن قضية فلسطين".

وهذا الكلام واضح ولم يقله حبًّا لحماس ولا للإخوان المسلمين، فالجماعة أرادوا محاصرة التيار الجهادي بإعطاء الحرية لتيار الإخوان ليس حبًّا في تيار الإخوان ولكن لأنه بديل أفضل من التيار الجهادي فالإسلاميون الديمقراطيون على الأقل يمكن أن يأخذوا ويعطوا فيمكن أن يدخلوا في البرلمان ويمكن يتنازلوا ويمكن يبيعوا ويشتروا.

فلما أعطوا الأخوان المسلمين والتنظيمات الإسلامية حريّة الحركة وسمحوا لهم أن يأخذوا راحتهم؛ ما الذي حصل؟ تيار الأخوان المسلمين حتى يعيش في تيار الديمقراطية (...) فالذي حصل أن الفكر الجهادي امتدَّ أفقيًّا بطريقة لا ترضي هؤلاء الناس لأنه أصبح هناك حريّة (..) فوجدوا أن هذا الخيار لا يصلح ولا بد من القمع؛ فبدؤوا بالقمع والتصفية عسكريًّا على أيدي حكامنا بدون أن يدخلوا مباشرة.

فالذي حصل أنه حدث صراع شبه متكرر بين الحركات الجهادية والحكام مما زاد في مِرَاس الحركات الجهادية وأصبح عندها تجربة في ميدان العمل، فوجد الغربيون أن هذا الأمر مصيبة؛ (....................) إذا أعطينا الإسلاميين الحرية تمدد الجهاديين أفقيًّا عن طريق هامش الحرية وإذا قمعنا الإسلاميين توسع الجهاديون رأسيًّا وأصبح عندهم تجارب وخبرات.

ولذلك لما حصل عملية قتل المحجوب[٢٠] –بصرف النظر عن العملية هل هي صواب أو خطأ حتى لا ندخل في موضوع مختلف– ولكن قضية أن التركيبة العسكرية للعملية كانت عالية جدًّا، وهذا مما أدهشهم، وكثير من التحليلات الغربية والعربية تقول أن هؤلاء الناس مستوى تدريبهم العسكري عجيب، ولذلك تجد أن أرقى الحرفية في البلاد التي فيها أرقى أجهزة البوليس، (...) فبقدر ما هناك من قمع وترويع من السلطان بقدر ما توجد تنظيمات جهادية متمرسة وشرسة وفعالة.

---

[٢٠] رفعت المحجوب: رئيس مجلس الشعب المصري الأسبق وعضو في الحزب الوطني الديمقراطي في مصر. أغتيل بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٩٠م.

لذلك من فضل الله سبحانه وتعالى أن تُضْرَب الحركات الإسلامية حتى تقتنع بالجهاد، وهذا الذي يحصل الآن في الأردن وفي الجزائر وفي غيرها، وهذه من المعونات الربانية التي أرى أنها معضلة وكانت أحد الأسباب التي جعلتهم يكشروا عن أنيابهم حتى صرحوا وقالوا إذا استلم السلطة في الجزائر الإسلاميون الجزائريون فسنتدخل عسكريًّا بالجيش الفرنسي كما تدخلت (..)؛ لأنهم وجدوا أنه لا الحكام ولا النظام الديمقراطي ولا التيارات الإسلامية "المعتدلة" كافية وأنه إذا أرادوا أن يحفظوا مصالحهم فلا بد من التدخل العسكري.

توصيات للتنظيمات الجهادية:-

فبعد هذا الاستعراض أقول أننا وصلنا بدراسة المرحلة السابقة وما نتصوره من المرحلة المقبلة أن أحد مميزات العمل الإسلامي في المرحلة المقبلة مسألة هامة؛ هي من الضرورات التي على الحركة الجهادية أن تأخذها لتصل لأهدافها وهي موضوع المنهج؛ فنريد أن نتكلم عن موضوع المنهج وماذا يجب أن يحوي المنهج، وهناك كثير من القضايا لن يسعنا الوقت أنت نتكلم فيها، مثل أن على الحركة الإسلامية أن تتبنى شعار "الردع"؛ وشعار "البناء خلال المعركة"؛ لأن الحركة التي ستعمل ستضرب فيجب أن عندها قدرة أن تبني أثناء المعركة (...)، ومثل قضية دفع الصائل بغيره؛ اليهود والنصارى موجودون وهو جزء من الاحتلال يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

فهناك كثير من القضايا على الحركة الجهادية إذا أقامت على تنظيمات وأرادت أن يكون لها أمل في المستقبل أن تأخذ بها، فأقول أول ما على الحركات الجهادية أن تأخذ به هو الانتقال من مرحلة الفكر الغثائي المائع العائم إلى مرحلة تحديد المنهج.

أنا جلست مع بعض أمراء حركات فقال لي أحدهم: "يا أخي صرعتونا يعني ما هي أهمية الفكر والمنهج في العمل الجهادي؟" فأنا أجتمع حتى أقرر قضية فيأتي الأمير ويهدُّ ما أبني؛ الجماعة التي ليس لديها منهج يجمع أعضاءها ويحدد الحلال من الحرام ستتفكك، ففي

منتصف الطريق سينشق التنظيم ويختلف أعضاؤه، فأي تنظيم يريد أن يعمل يجب أن يكون عنده منهج، وهذا المنهج يكون منهج سياسي شرعي.

ففي تحضيري لموضوع المنهج قلت يجب أن أطلع على المناهج؛ وبيشاور (..) والحمد لله فيها تمثيل لكل الحركات الإسلامية، فأخذت منهج (الجماعة الإسلامية)، وأخذت منهج (جماعة الجهاد)، ومنهج جماعات سلفية جهادية؛ فوجدت أن معظم هذه الحركات تتفق كلها تقريبا في ١٠–١٥ نقطة سأستعرضها، أقول هذه الدوائر هي خلاصة وزبدة ما وصل إليه الفكر الإسلامي في عام ١٩٩٠م وما تلاه.

الحركة الجهادية إذا لم تأخذ قضية المنهج بعين الاعتبار فستبقى تَجَمُع دون التنظيم، ولن يصبحوا تنظيمًا أبدًا، أي تنظيم ليس لديه فكر ومنهج فهو ليس تنظيم؛ ولو انطبق هذا الكلام على الجماعات الإسلامية المسلحة؛ ففي علم السياسة تعرُّف الأمة بأنها تجمع بشري لديه شعب وأرض وسلطة، إذا وجدنا أرض وشعب ولكن ليس لديهم سلطة فلا نقول أنهم أمة، مثل الهنود الحمر فلا أحد يقول أنهم أمّة، وإذا كان هناك شعب وسلطة ولكن ليس هناك أرض مثل منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات سلطة وشعب ولكن بدون أرض؛ فهم ليسوا أمة، ولذلك بعض الغربيين رفض الاعتراف بدولة فلسطين وحجتهم أنه لا أرض لها.

فأقول كما أنه حتى تكون هناك أمة فيجب أن يكون هناك أرض وشعب وسلطة فكذلك حتى يكون هناك تنظيم فيجب أن يكون هناك منهج وقيادة وأموال وتخطيط ثم سمع وطاعة، (..) فمقومات التنظيم هي فكر ومنهج ثم قيادة ثم أموال ثم مخطط ثم سمع وطاعة، بهذا الترتيب ولذلك إذا لم يكن عندك منهج فلن تستطيع أن تجمع الناس، وإذا جمعتهم مثل ما حصل هنا في بيشاور (..) ولذلك لن نستطيع أن نجعل العرب في بيشاور جماعة؛ لأنه ليس هناك منهج يجمعهم ويربطهم، حتى ولو قامت لهم قيادة ولو جاؤوا بمئات الملايين الدولارات لو عملوا مخططًا ولو أخذوا سمع وطاعة من الناس، فلو أعطيت سمع وطاعة لأمير (..) ثم جاءتك بعض المطالب التي تعارض فكرك فلن يكون هناك شيء مشترك يلزم الجميع.

فقضية الفكر سابقة أولًا ثم القيادة، الناس يجب أن تبني فكرها ثم تكوّن قيادة مؤمنة بهذا الفكر فتقود هذا التنظيم، والقيادة يجب أنت تكون متشبعة بهذا الفكر، فمثلًا أنا لا أقبل أن يكون أميري في التنظيم من الإخوان لأنه سيفعل في مرحلة من المراحل مصائب أرفضها.

فأقول مقومات التنظيم فكر ثم قيادة ثم بعد القيادة أموال وهي مصيبة المصائب، وكل الحركات الجهادية الجادة والعاملة تعاني من هذه المعضلة، والأموال يجب أن تكون ملكًا حلالًا للقيادة بيدها وليس عروض من المحسنين، يعني نحن وقعنا في مشكلة جهاد "الشحاتين"؛ وقعنا فيها في سوريا ووقع فيها كثير من الناس، فالناس الآن لو أعطتك وقالت لك خذ فماذا ستفعل لو انقطعوا أو حصلت لهم ظروف قاهرة منعت المحسنين من العطاء؟ فأقول يجب أن يكون للقيادة مصدر دخل مستقل.

فإذا جاء التنظيم بفكره وبقيادته وبتمويله أصبح قادرًا على أن يضع مخططًا، فإذا كانت قيادتك موجودة وأموالك في جيبك وعندك مخطط، أما لو كانت أموالك في جيب غيرك فلن تستطيع أن تضع مخططًا، فإذا جاءت القيادة بفكر ومال ومخطط جاز لها أن تطلب السمع والطاعة من الناس، (...) فأقول هذه من مقومات وشروط المرحلة المقبلة حتى تنهض التنظيمات الجهادية وحتى تكون جاهزة.

الآن أقول حرب الخليج جاءت بكل ما فيها فكشفت لنا أهمية الفكر، وكشفت لنا انحراف العلماء، وكشفت فداحة العمالة والوقاحة عند الحكام، وكشفت حقيقة ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾[٢١] ، أي نحن أكرم على رب العالمين من أن يتركنا هكذا بدون أن يميزنا، فنحن ميزنا في سوريا عن اعوجاج الإخوان المسلمين ومصائبهم؛ وكان ثمن هذا ٥٠ ألف قتيل، فهؤلاء الـ ٥٠ ألف قتيل لولاهم لكان الكثيرون ما زالوا مع الإخوان المسلمين وأنا واحد منهم، وأنا أثناء أحداث حماة كنت عضوًا في المجلس العسكري للإخوان المسلمين وإن كانت سابقتي كانت في التنظيم (..) كل شيء، ولم يكن عندي القدرة أن أميز وأعرف الحقيقة إلا عندما جاء الناس من حماة وأُخبرنا الحقيقة.

---

[٢١] سورة آل عمران: (١٧٩).

فأنا جئت للإخوان لأجاهد وأدخل في تنظيم جهادي فأدخلونا في المعسكرات على الحدود فلم يكن عندي الوقت أن أعرف من هو عدنان سعد الدين أو من هو سعيد حوى، وسعيد حوى عرفناه عن طريق كتابه (أنوار عن طريق الجهاد)، (..) فلما تكون تحت قيادته وتحصل المصيبة وتدفع الثمن تنكشف الحقيقة، فكان ثمن انكشاف الحقيقة في سوريا حتى يتمايز الناس مقتل ٥٠ ألف شخص في حماة، فنحن حتى يتبين لنا حقيقة حكامنا وحتى يتبين لنا الغث من السمين من علمائنا، .(.....)

والآن أضرب مثال بواحد من كبار المحقّقين كالشيخ الألباني مثلًا، وهو من كبار العلماء، ولا يوجد أحد من المدرسة السلفية إلا استفاد منه وأخذ من كتبه، نسمع له ثلاث فتاوى:

1-سُئل ما حكم قتل الأمريكان في السعودية؟ فقال "أغدرًا أم إعلانًا؟" يعني يعتبر قتلهم من الغدر، فالشيخ لا يدري من غدر بمن ولا يفهم شيئًا عما يجري ويحصل(....) .

2-وسُئل عن الحادثة الصحراوية. فقال: "هذه الثورات والاغتيالات والعمل المسلح بدعة لم تكن عند المسلمين" يعني لا أحد يعمل تنظيمات ولا عمل مسلح لأن الشيخ عنده هذه الأعمال بدعة!

3-أما الفتوى الثالثة فهي مصيبة المصائب عرفتها في سفرتي الأخيرة للأردن أنه يفتي بوجوب الهجرة على مسلمي فلسطين منها، (.....) وهو يقول بوجوب الهجرة على مسلمي فلسطين ويقول لمليون ونصف مسلم أن يخرجوا، فأين يذهبون؟ هو يرى أن الملك حسين ومن معه من الملاحدة مسلمين فبالتالي بلادهم بلاد إسلام، (....) على طريقة أفلاطون "سقراط إنسان، مات سقراط؛ يعني كل إنسان مات"، .(.............)

ولا أحد يقول لي أنا لا أقبل تصحيح وتضعيف الشيخ الألباني، فهذا مردود لأن الرجل صاحب اختصاص ونأخذ منه علمه (....)، فهذا الكلام لم أكن أتجرأ قديمًا أن أقوله أمام كثير من الحاضرين كما أفعل اليوم، ونفس الشيء أقوله عن العلماء الآخرين وابن باز، فالرجل نصر السنة وتعب في خدمتها .(...........)

البوطي في سوريا، البوطي كتب كتاب (...) فقال: "حافظ الأسد مسلم مؤمن"، حافظ الأسد الذي ذبح المسلمين في سوريا عنده من المؤمنين، ثم يقول: "وهذا الرجل من تلاميذي ومريدي هو وكثير من أعضاء القيادة القطرية"، فهذا الإنسان لو لم يفعل هذه المصيبة ويقف هذا الموقف لم أكن سأستطيع أمام كثير من أتباعه أن أقول هذا الكلام.

الشعراوي الذي كثيرًا ما تكلمنا عن فتاواه، هذا الرجل يقول في البيان المصيبة الذي أخرجه: "نحن لا نريد هذا الإرهاب، وأنا ضد التكفير"، ثم يقول" :أعمال الجهاد في مصر إرهاب خصوصًا أنني لا أعلم أن حكام مصر قد ردّوا لله حكمًا"، ووقع على هذا البيان الشعراوي والغزالي وجاد الحق وشيخ الأزهر ووضعوا اسم القرضاوي ثم تبرأ وإن كان سقط في غيرها.

فهؤلاء الناس وقعوا بيانًا يقول: "ذلك أننا لا نعلم أن حكام مصر قد ردّوا لله حكمًا"، ولاحظ كيف أنهم قالوا حكام مصر ولم يقولوا حاكم مصر يعني :السادات وعبد الناصر وحسني مبارك لم يردوا لله حكمًا.!

وهذه الشهادة الزور يوقعها هؤلاء "العلماء" عن رب العالمين، ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) سمى العلماء بالموقعين لأن الفقهاء والعلماء يوقعون عن رب العالمين، أي عندما توقع الآن عن (مكتب الخدمات) فأنت توقع عن أبي عبد الله وتوقع عن مجموعة من المجاهدين، وكذلك العلماء يوقعون عن رب العالمين ولذلك سمى ابن القيم كتابه إعلام الموقعين، فعندما يوقع الشعراوي عن رب العالمين أن حكام مصر لم يردّوا لله حكمًا فما الفرق بينه وبين ذلك العالم من بني إسرائيل (بلعام بن باعوراء) الذي جاءه أحد صناديد العراق فسأله عن موسى –عليه السلام– هل هو على حق أم على باطل؟ وكان الرجل من علماء بني إسرائيل فأغروه بالدنيا فكذب في فتواه؛ فقال عنه تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾[٢٢]، فالآن لو قلت فلان مثله كمثل الكلب يخرج لك مئة معترض، .(............)

---

[٢٢] سورة الأعراف: (١٧٦).

فهذا الكلام لم أكن أستطيع أن أقوله قبل حرب الخليج، فجاءت حرب الخليج فكانت -والله أعلم- مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[23]، فأقول نحن ننتقل من مرحلة إلى مرحلة؛ عرفنا الآن حال الحكام، (...) والآن ليس هناك أحد ليس عنده كتاب (لكواشف الجلية في كفر الحكومة السعودية)[24]؛ فالحمد لله تحقق تقدم كبير في حكم الحكام، فهذا من فضل الله (........).

خاتمة المحاضرة:-

(...) ضاق علينا وقت المحاضرة نقف هنا وكنت سأستعرض ما يجب أن يكون عليه حال الجماعات والتنظيمات الإسلامية ومواقفها وعلى رأس ذلك الفكر؛ منها وجوب الاعتقاد بكفر الحكام، ووجوب الاعتقاد بمجموعة من القضايا؛ ولعلنا وإذا جمعنا الله -سبحانه وتعالى- مرة أخرى أن نتحدث عن بعض هذه القضايا.

..ونأجل مناقشة الأسئلة التي جاءتنا إلى مرة أخرى، وأحب أن أذكر أن اللقاء القادم مع الدكتور أبو المعز أحد قيادات الجهاد في دروس سياسية -إن شاء الله-، ولعلها تكون مقدمة لأن تكون الدروس بعد ذلك عامة.

ونسأل الله أن ينفعنا بما ذكرنا وأن يزيدنا علمًا، وأن نكون كما ذكرت في بداية حديثي على استعداد بأن نسمع وأن نتفكر في كل شيء، وأن لا يكون عندنا حساسيَّة؛ خصوصًا -كما ذكرت قبل ذلك- أن نعطي فرصة لكل أحد، فكما دعونا أخونا الفاضل أبو طلال فلا بد أن ندعو أيضًا الفكر الآخر والرأي الآخر حتى نستمع وحتى لا يفوتنا شيء، وأن يكون عندنا استعداد أن نسمع الخير من أي مكان، وكما قلت أيضًا في بداية المحاضرة أننا

[23] آل عمران: (١٧٩).

[24] الكتاب للشيخ أبي محمد المقدسي -فك الله أسره-.

لو لم نستفد إلا أن نتعلم كيف نتناقش وكيف نتحاور فنخرج من الحوار ونحن إخوة متحابون على طريق الله وعلى طريق الجهاد.

إخوة الإسلام جزاكم الله خيرًا على حضوركم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، سبحان الله وسلامٌ على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملاحظة في نهاية المحاضرة:-

في الأخير أحب أذكر كلمة للإخوة فقط؛ يا إخوان طبيعة الناس أن الإنسان عندما يتكلم يعبر عن ٩٠% عما يريد؛ فقد يفهم السامع غير ما يريد المتكلم فيرويه كما فهمه لإخوانه في التنظيم، فيصبح كل أعضاء التنظيم يفهمون الكلام على غير ما أراد المتكلم، ولذلك أرجو أن ينقل عنّي ما قلته تحديدًا لا أن تنقلوا عني أفهامكم.

الآن هناك من فهم من كلامي عن العلماء وعن الحركات الإسلامية أني أكفر العلماء، فيخرج واحد ويقول أبو مصعب كفر العلماء وكفر الإخوان، فأنا لا أكفر العلماء ولا أكفر ابن باز، وكل رجل يؤخذ من كلامة ويرد إلا رسول الله –عليه الصلاة والسلام–، فانقلوا ما قلنا لا ما فهمتم، والسلام عليكم ورحمة الله.

فهرس المحاضرة